بحث بعنوان

دور المسلمون في الحفاظ على الْهُوِيَّة الإسلامية أثناء الاحتلال الشيوعي لأذربيجان من سنة ١٨٧١ إلى ١٩٩١م .

المقدمة : وتشتمل على الآتي :

أولا : أهداف الدراسة :

١- إبراز أهمية جمهورية أذربيجان جغرافيًا ، تاريخيًا ، دينيًا .
٢- التأثير القيصري والشيوعي على أذربيجان خلال فترة الاستعمار .
٣- الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية بعد الاستقلال .
٤- محاولة التوصل إلى الرؤية المستقبلية للحد من التحديات والصعوبات التي تواجه المسلمين في أذربيجان .

ثانيًا : أسباب اختيار الموضوع :

توجد عدة أسباب أدت إلى اختياري هذا الموضوع ، وهي كالآتي :

١- التعرف على هذه المنطقة الإسلامية باعتبارها جزءًا من العالم الإسلامي في البر الآسيوي .
٢- إبراز أهمية أذربيجان جغرافيًا ، وتاريخيًا ، ودينيًا ، وعوامل ظهورها .
٣- الاستعمار الروسي القيصري والشيوعي ، وتأثيره على الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للإسلام والمسلمين في أذربيجان .
٤- تغيير البنية الاجتماعية عن طريق نشر الفكر الشيوعي والإلحادي، وصناعة النخب وتوجيهها في سن القوانين ، والنحل ، والمذاهب الهدامة للقضاء على الإسلام والمسلمين .

٥- أن كثيرًا من أعلام الإسلام ودعاته وعلمائه أنجبتهم تلك البلاد وخاصة فيما يعرف بتركستان ، فكان من حقهم علينا أن نترجم لهم ولو بإيجاز وننوه بفضلهم ولو باقتضاب .

ثالثًا : تقسيم البحث :وينقسم كالآتي :

- أولا : دور المجتمع الأذربيجاني في الحفاظ على الْهُوِيّة الإسلامية أثناء الاحتلال الشيوعي .
- ثانيا : دور الطرق الصوفية والحركات الإسلامية في الحفاظ على الْهُوِيّة الإسلامية أثناء الاحتلال الشيوعي .

تمهيد

أذربيجان اسم لقطعة الأرض التي تضم المنحدرات الجنوبية لجبال القوقاز في الشمال ، وبحر قزوين في الشرق ، والمرتفعات الأرمنية في الغرب ، وفي الجنوب الحدود الطبيعية ، وكانت أذربيجان فى القدم جزءًا من الهضبة الإيرانية ، وبلاد فارس ؛ وأذربيجان "أرض النار" حيث كثرة العديد من المعابد الزرادشتية .

وتقع أذربيجان في الجزء الشرقي لمنطقة ما وراء جبال القوقاز ، من الشمال يحدها داغستان ، ومن الشمال الغربي جورج ستان ، ومن الجنوب الغربي أرمينية ومن الجنوب إيران ، ومن الشرق بحر قازوين ؛ عدد سكانها ٦,٣٠٣,٠٠ نسمة ؛ عاصمتها باكو ؛ وتعد أذربيجان أصغر الجمهوريات الإسلامية الست من حيث المساحةُ ، وتحتل المركز الثالث من حيث عددُ السكان حيث يسكنها نحو ٧ ملايين نسمة .

لقد ظلت أذربيجان محتفظة بالطابع الإيراني لها بعد غزو المنطقة من قبل العرب واعتناق الإسلام في منتصف القرن السابع الميلادي نحو أربعة قرون ، ومع تدفق الأتراك السلاجقة إليها انصهروا مع سكانها الأصليين ، وانصهر السكان الأصليون مع البدو المهاجرين ، وحلت اللهجة التركية تدريجيًا محل اللغة الفارسية لتصبح متميزة (أذري أو اللغة الأذربيجانية) .

وقد تعرضت أذربيجان للتجزئة جراء ما تعرضت له من مؤامرات خارجية ، حيث قسمت حسبما أراد جيرانها الأقوياء ، فأنشئت جمهورية أذربيجان السوفيتية في ٢٨ أبريل سنة ١٩٢٠م كجزء من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية المحلية القائمة وراء القفقاس، ثم ألحقت بالاتحاد السوفييتي في ٥ديسمبر سنة ١٩٣٦م ، وأصبحت أذربيجان السوفييتية تعني: " أذربيجان " ومساحتها ٨٦٦٣٠ كم٢.

أما القوقاز ، فقد احتلتها روسيا القيصرية سنة ١٨١٣م ، بعد حرب استمرت من ١٧٧٥ حتى ١٧٨٤م ، وقد حاول الأمراء في منطقة القوقاز مقاومة هذا الاحتلال ،

ولكن القوات القيصرية اكتسحت المنطقة ، وقام الغازي محمد (الملا) ، ومحمد الغمراوي بمقاومة سلطات الاحتلال وألحق بهم بعض الهزائم، وكان عالمًا فقيهًا زاهدًا مجاهدًا، وظل يجاهد الاحتلال الروسي من ١٨٣٢ إلى ١٨٣٤م ، فاستشهد في بداية المعركة ، وتولى الراية بعده تلميذه حمزة الخراجي وهو أحد الأمراء الذين لم يستسلموا للروس ؛ أما الشيخ محمد شامل والملا محمد الصوفي فقد تولَّيا الأمر بعدهما، فألحقا الهزائم المتتالية بالقوات الروسية، وأعادا جميع الحصون والقلاع التي كان الروس قد سلبوها واقتحموها ، حيث قاد معارك طاحنة ضد القوات الروسية خلال العامين ١٨٤٣- ١٨٤٤م ، ثم وقف ضد القوات الروسية يحاربها في مواقع متعددة لمدة خمس وعشرين سنة بسلاحه القليل ، ثم خرج إلى تركيا حيث مات فيها ؛ لقد احتاجت روسيا القيصرية إلى ١٣٧سنة لإخضاع القوقاز من١٧٢٢ إلى١٨٥٩م .

إن الهوية الإسلامية أمانة في أعناقنا ، والحفاظ عليها مسئولية مشتركة بين جميع فئات الأمة ، وهي مصدر تميز المسلمين عن الأمم والشعوب ، ومبعث فخر واعتزاز لنا ؛ بل هي الحصانة الواقية لنا من المؤثرات الخارجية ؛ وفي ظل هذا المناخ الدولي غير المستقر ، يتعاظم الخطر الذي يهدد المجتمعات الإنسانية في خصوصياتها الثقافية والحضارية ، وفي أمنها الفكري والعقدي ، وفي هويتها الوطنية ، وثقافتها القومية ، وفي تراثها الحضاري ؛ ومن هنا يكون الحفاظ على الْهُوِيَّة الحضارية الإسلامية ضرورة حياة ، وواجبًا إسلاميًا وقوميًا في المقام الأول؛ فالْهُوِيَّة هي الحصانة الواقية ضد التلاشي والذوبان .

كانت الْهُوِيَّة الإسلامية هي الحافز الرئيس الذي دعم جهاد الأمة ضد أعدائها، سواء في الحروب الصليبية ، أو غزو التتار ، أو حروب الفرنجة ، أو غيرها ، حيث كانت الأمة تندفع بهويتها الإسلامية لتقدم قدراتها القوية ، فسرعان ما تنهزم قوى الباطل ويعود المسلمون إلى امتلاك إرادتهم ، وبناء أمتهم ، ونشر كلمة الله في العالمين ؛ هذه هي عبرة التاريخ وأما درس الواقع فقد (أثبت لنا تاريخ صراع الأفكار والمذاهب في القرن الأخير في المجتمعات الإسلامية أن الأمة الإسلامية

رفضت محاولات إسقاطها النهائي أمام الأمم الأخرى وحضاراتها ، وأنها لا تزال تحتفظ بجوانب من القوة في مقوماتها الإسلامية وخصائصها الذاتية المستغلة ، على الرغم من غزو الحضارة الغربية لقيمها وحياتها وسلوك أفرادها) ، ولا تزال ترى أن الإسلام هو المنهج الذي يمثل خصائصها، ويحدد هويتها، ويرسم الطريق الأمثل والوحيد إلى أهدافها الحضارية ، وليس أدل على ذلك من هذه الصحوة الإسلامية ، وتلك الجحافل الساجدة لله ؛ بالفكر والسلوك ، الساعية إلى إخراج الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة وقيادة البشرية .

إن الإسلام وحده هو (هوية الأمة الإسلامية) وهو عصب حركتها ومحور اجتماعها وهو القوى الدافعة التي تفجر طاقات الأمة وتقوي وقفتها في مواجهة أعدائها ، ويوم أن كان الإسلام هو هوية هذه الأمة ، كان المسلمون هم سادة الأرض بحق وصدق وعدل ، وبغيره ستظل الأمة تلهث وراء المظاهر الحضارية تحبسها التقدم ، وهي القشور والخداع .

أولا : دور المجتمع الأذربيجاني في الحفاظ على الْهُوِيّة الإسلامية :

لقد أدى إلغاء الخلافة العثمانية في ٣ مارس ١٩٢٤م مع تزايد نفوذ القوى الغربية في العالم الإسلامي إلى فراغ سياسي أدى إلى انهيار جذري في العالم الإسلامي ، حيث كان لوجودها ووجود الخليفة في إستانبول دورٌ مهم في الناحيتين النفسية والدينية ، مما أدى أيضًا إلى ظهور الهياكل السياسية في العالم الإسلامي التي تهدف إلى بناء نماذج علمانية للدولة القومية (١) ، وأهم هذه العوامل هي : أن سقوط الخلافة العثمانية أدى إلى فقدان المرجعية الكبرى للمسلمين مما فتح الباب على مصراعيه أمام الاجتهادات الشخصية والجماعية ، التي نتج عنها ظهور الكثير من الجماعات الإسلامية المتشددة ، أيضًا فشل الدعوات القومية التي نشأت في مطلع القرن العشرين عقب الاستقلال ، والتي شهدت تقلبات وتناقضات عديدة ، وعجزت عن صياغة عقيدة أو أيديولوجية ثابتة وواضحة (٢) .

لقد قاوم المسلمون حكام القياصرة قبل الثورة الشيوعية ، وحاربوا في الجبال والسهول ، وسقط عدد كبير من الشهداء ؛ كانت بعثات التنصير تقوم بواجبها تنشر سمومها بين المسلمين أيام القياصرة ولكنها لم تأت بأية نتيجة صغيرة كانت أو كبيرة، فقد كان المسلمون هناك على درجة عالية من الوعي ، في حالة من الصلابة ومن التمسك بالدين ، وكان هناك العلماء الأجلاء الذين يجمعون حولهم التلاميذ ، ويقومون على نشر التراث الإسلامي ونسخه وتوزيعه بين المسلمين ، أضف إلى ذلك المدارس الإسلامية الكبيرة التي كانت منتشرة في طول البلاد وعرضها ، لدراسة الفقه والتفسير ، وتعمل على حماية عقل المجتمع وثقافته ، بعيدًا عن المقولات النصرانية وإرادة القياصرة في القضاء على الإسلام والمسلمين ، ولم يكن تأثيرهم شديدًا وبالغا مثل ما حدث بعد ذلك في إمبراطورية الشر التي أقيمت بعد

---

(1) Cambridge Scholars Publishing : Transformation of the Muslim World in the 21st Century, Edited by Muhammed , Hüseyin Mercan ,Lady Stephenson Library, Newcastle upon Tyne, NE6 2PA, UK , 2016 , p.1.

(٢) نهى السدمي : الإسلام السياسي في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، سنة ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م ، ص ٤٨ .

الثورة الشيوعية والتي أعلنت الحرب على الله سبحانه وتعالى ، فأتاهم من حيث لم يحتسبوا وأتى بنيانهم من القواعد ، وخر عليهم السقف من فوقهم ؛ لقد جاءت الشيوعية إلى العالم وإلى تلك البلاد كالإعصار العاتي الذي لا يقف أمامه شيء ، وقد اعتمد فلاسفتها ومنظروها على أسس لا تتفق مع طبيعة البشر وفطرة الله التي خلق الناس عليها ، ولعل هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى ، فقد كانت تحمل في طياتها عوامل القضاء عليها ، كان أساس نظريتها من الناحية الفلسفية الإلحاد ، وإنكار وجود الله سبحانه وتعالى ، وأن الأديان هي اختراع صنعه بعض الأقوياء للسيطرة على البشر من الضعفاء ولحماية مصالحهم وتجارتهم ؛ وكان الدين من الأشياء التي ينبغي القضاء عليها قضاءً مبرمًا ، وقد نجحوا في هذا إلى حد كبير ! وصار الإلحاد يدرس كمادة منفصلة في جميع مراحل التعليم بدرجات مختلفة ، ثم أدخلوه في كل العلوم كأساس لا ينفصل عنها مثل علوم الطب ، والكيمياء ، والطبيعة ، والرياضة، وغير ذلك من مواد مختلفة ، وعلى من يطلب النجاح والحصول على الدرجات العلمية ألا يخالف ما تقوم به المناهج ، بل عليه أن يجيب عليها بما في الفلسفة السائدة فى المجتمع ، والتي صارت نسيجًا في كل العلوم (١) .

أولاً : محاولات الروس للقضاء على الْهُوِيَّة الإسلامية :

إن حكومات الاتحاد السوفيتي المتعاقبة قد بذلت جهدها لتطمس المعالم الإسلامية لهؤلاء المسلمين بتهجيرهم من أوطانهم إلى أماكن مبعثرة في الاتحاد السوفيتي كما فعلوا مع التتار في القرم ، أو ينقلون الشعوب الروسية إلى حيث يعيش هؤلاء المسلمون فيحولونهم إلى أقلية مسلمة في ديارهم كما في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، بالإضافة إلى هدم المساجد والتضييق عليهم في إقامة الشعائر الدينية في المساجد ، وصيام رمضان الذي كان الروس يعدونه عادة بربرية قذرة تعطل النمو الاقتصادي ، وكذلك الحج إلى بيت الله الحرام وإلغاء يوم الجمعة كإجازة رسمية

---

(١) أحمد رائف : مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر ، ط ١ ، الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ص ٦١ ، ٦٢ .

واستبداله بيوم الأحد ؛ لكن هذا التعسف والاضطهاد الروسي للمسلمين لم ينس هؤلاء القوم ديانتهم الإسلامية فظلوا محتفظين بدينهم ونمطهم الإسلامي حتى انهار النظام الشيوعي وزال الخوف والرعب الذي كان يخيم عليهم فأصبحوا مسلمين أحرارا في بلادهم نسبيًا (١) .

لقد قام الروس بعمل لجنة علمية بإشراف البروفيسور(كون) سنة ١٩٣٤م مهمتها قطع العلاقات الثقافية بين المسلمين في تركستان ، وكان من توصيات هذه اللجنة تقسيم هذه المنطقة إلى شعوب ومقاطعات والعمل على الارتفاع بكل لهجة واستقلالها عن غيرها عملاً بمقولة (فرق تسد) مما جعل علماء تركستان يقومون بعمل مؤتمرات يدافعون فيها عن تراثهم الديني والثقافي ، فقام الروس بالقبض عليهم ، ومحاكمتهم بتهمة الرجعية ، كما منعوا وسائل الاتصال بين المسلمين سواء في داخل الاتحاد السوفيتي أو خارجه ، وتفريق المسلمين عن طريق عدم وحدتهم باستخدام أبجدية مختلفة لكل مجموعة منهم ، ففي عام١٩٤٠م صدر أمر بترك الأبجدية اللاتينية واستخدام الأبجدية الروسية (الكيريلية) ، وأحرقوا كل الكتب التي كتبت بالحرف اللاتيني ، ويقول العالم السوفيتي باسكاكوف عام ١٩٥٢م " إن من أهم الإنجازات التي وصلت إليها شعوب الاتحاد السوفيتي ثقافيًا هو اتخاذها لنظام الخط الروسي في الكتابة ، وهذا سيعمل على تطوير اللغات المحلية وسرعة تعلم اللغة الروسية ، وبهذا تذوب هذه الشعوب غير الروسية ، وتخضع للثقافة الروسية ، وتأثيراتها بشكلٍ واضحٍ "(٢) .

" ويصور المؤرخ البريطاني المشهور(أرنولد توبيني) أحوال العالم الإسلامي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في محاضرة له في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي حيث قال : " إننا ظللنا نطارد الرجل التركي (يقصد الرجل المريض ،

---

(١) محمود أبو العلا : المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقًا ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢٤ .

(٢) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان ، ط ١، جامعة القاهرة ، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٠ وما بعدها .

وهو كناية عن الإمبراطورية العثمانية) ونهاجمه لكي يترك دينه لأنه كان ينظر إلينا كأننا خنازير برية ، فلما ترك دينه وتبعنا احتقرناه ؛ لأنه لم يعد عنده ما يعطيه"(١).

كما قام الشيوعيون من أجل طمس الْهُوِيَّة الإسلامية بوضع مادة في القانون الجنائي تحرم تلقين الأطفال العقائد الدينية في المدارس الحكومية ، والخاصة ، والمعاهد التعليمية المختلفة ، في حين تم وضع مادة أخرى تمنع حرية إقامة الشعائر غير الإسلامية، وحرية الدعوة إلى الإلحاد ، بالإضافة إلى إقامة المعاهد المخصصة لنشر الإلحاد ومحاربة الأديان مثل : معهد الإلحاد بأكاديمية العلوم الاجتماعية للجنة المركزية للحزب الشيوعي، ونشر الكتب الموجهة ضد الإسلام وتدريب الملحدين وتجنيدهم من جميع المهن والمناصب للدعاية ضد الإسلام (٢) ، ومنع الشباب دون العشرين من صلاة الجمعة وتم وضع لوحة مكتوب عليها ممنوع دخول المساجد للشباب دون العشرين حيث يقف الجنود الروس على أبواب المساجد ينظرون في البطاقات الشخصية (٣) ، وقاموا بقتل علماء الدين مثل (الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة ، والشيخ خان مروان مفتي بخارى) ، والمثقفين والحرفيين والمهنيين ففي عام ١٩٣٤م قتل مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية ، والعلماء ، والمثقفين ، والتجار، والزراع ، وفي عام ١٩٥٠م قتل سبعة آلاف مسلم في المنطقة نفسها ، وتم توطيد أعداد كبيرة من القوميات غير الإسلامية في هذه المنطقة ، وطرد المسلمين منها لتفتيت وحدتهم وتمسكهم بعقيدتهم، وحطمت المطابع الإسلامية التي تطبع المصاحف ، والكتب الإسلامية ، وتم تحويل الجامعات الإسلامية إلى

---

(١) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان ، ص ١٠ ، ١١ .

(٢) عبد العزيز بن عثمان التويجري : العالم الإسلامي والغرب التحديات والمستقبل ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ، الرباط ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ،، ص ١٥ .

(٣) سعيد أحمد محمد سلطان: التأثير الأيديولوجي للروس على المجتمعات الإسلامية بوسط آسيا(أوزبكستان نموذجا) ، رسالة دكتوراة ، قسم الحضارات ، كلية الدراسات الآسيوية ، جامعة الزقازيق ، د.ت ، ص ٩٠ .

(٤) زينب الأشوح : الأهمية الاقتصادية للجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى في الاتحاد السوفيتي سابقًا ، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٧ ، الفترة (١١- ١٣ ربيع الآخر/ ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ، ص٨٦ .

شيوعية ، ومَنع المسلمين من أداء الفرائض الإسلامية مثل الصلاة والصيام بحجة أنها تعرقل العمل ، وتوجيه التعليم إلى الإلحاد خاصة الأطفال منذ التحاقهم بالحضانات حتى يتربوا على الإلحاد(١).

لقد استخدمت الشيوعية جميع الوسائل والأساليب في محاولة طمس الْهُوِيَّة الإسلامية وتحويل المسلمين إلى ملاحدة، فسلكت جميع الطرق وسخرت جميع قواها في هذا الغرض، حتى ظن من لا يعرف ماهية هذا الدين بأنه لن يبقى في هذه البلاد من يقول: الله، الله ؛ ومن وسائلهم:

١- الاستيلاء على كافة المساجد وتحويلها إلى متاحف ومستودعات وملاعب ومراقص وخمارات ومستشفيات الخ، - ولا أقول هذا نقلاً عن أحد بل وقوفاً عليها - في تركستان وحدها تم إغلاق أكثر من ستة وعشرين ألف مسجد، وجرى تحويل أكثر من سبعمائة مسجد في بلاد التتار، وخمسمائة مسجد في بلاد القفقاز إلى مواخير وأندية وإسطبلات.

٢- إغلاق جميع المدارس الإسلامية وفعلوا بها كما فعلوا بالمساجد، وكان قبل الثورة في بلاد بخارى وحدها أكثر من ثلاثمائة وستين مدرسة، وقد فنيت تلك المدارس ولم يبق فيها قائماً الآن سوى خمسين مدرسة، وقد جعلت متاحف ومسارح وغير ذلك.

٣- إحراق وإغراق جميع المصاحف والكتب ؛ ومنع اقتناء أي مصحف أو كتاب، مما اضطر كثيراً من الناس إلى إحراقها أو دفنها في الجدران، أو حفظها على خوف وقلق ، لأن من وجد في حوزته كتاب أو ما في حكمه مما يمت إلى العلم الشرعي أو اللغة العربية بصلة فهو معرض للمحاسبة، ولهذا لا تكاد تجد الآن عند كثير من المسلمين اليوم مصحفا ولا كتابا بل لا تجد في مساجدهم ذلك أيضاً (٢).

---

(١) محمود عيسى : تركستان الشرقية .. وطن إسلامي بين فكي التنين الصيني ، مجلة الأزهر ، السنة ٨٢ ، العدد ١١ ، ذو القعدة ١٤٣٠هـ / نوفمبر ٢٠٠٩م ، ص ١٨٥٠ .

(٢) يحى اليحي : مشاهدات في بلاد بخارى ، العدد ٥٩ ، مجلة البيان ، ص ٨٦

٤- من وسائل الشيوعيين في طمس الْهُوِيَّة الإسلامية نشر وطباعة الكتب الإلحادية والأدب الإلحادي .

٥- تسهيل الانضمام إلى الحزب الشيوعي والتمتع بامتيازاته .

٦- تزييف التاريخ الإسلامي الخاص بالمنطقة ، فقد حاولوا تجهيل أبناء المسلمين في أن هذه البلاد لا تمت إلى الإسلام بصلة ، وإن ذكروا فتوحات المسلمين فإنهم يذكرونها على سبيل الغزو ، والسيطرة ، والاستعمار ، وإذلال شعوب المنطقة، ولذلك كثيراً ما يوجد في شوارعهم رسوم وصور المكافحين الملاحدة الذين قاموا بمكافحة الإسلام في القديم والحديث.

٧- منع النساء من الحجاب الشرعي ، وقد أقيمت الاحتفالات الرسمية الإلزامية لحرق الحجاب ؛ وتسخير نساء المسلمين في الأعمال المهنية الشاقة ، فحيثما توجهت نحو أي مزرعة تجد نساء المسلمين يمسكن بالمساحي لحراثة أرض الدولة ، أما الشوارع فإن تنظيفها موكل إلى عجائز المسلمين .

٨- تهجير الروس إلى بلاد المسلمين ، ليمتزجوا بهم وكذا العكس، ولذا تجد الروس والكوريين وغيرهم قد سكنوا في أحياء المسلمين وقراهم، وكل هذا مبالغة في طمس الْهُوِيَّة الإسلامية .

٩- وضع أصنامهم في كل حي وشارع وناحية ، فما تدخل شارعًا ولا محلة ولا قرية إلا وتجد تمثال لينين أو غيره على منصة مرتفعة ؛ وتسمية الأحياء والمدن والقرى والشوارع والمدارس وغير ذلك بأسماء رموز الحزب، وهذا شامل لجميع المدن والقرى في طول البلاد وعرضها .

١٠- كتابة عبارات إلحادية عند نهاية المدن والقرى بدلاً مما نكتبه نحن (تصحبكم السلامة أو الله يحفظكم) فيكتبون لينين معكم، لينين يحفظكم.

١١- تسخير برامج الإعلام كلها لغرس الإلحاد والكفر، فللتلفزيون ثلاث قنوات : قناتان تبثان من موسكو ، وقناة تبث من نفس الجمهورية ، فالمسلم حيثما وجه التلفزيون فهو بين هذه القنوات لا يتعداها (١) .

---

(١) يحى اليحي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

لقد تسبب الاحتلال القيصري والشيوعي في قطع أجيال كثيرة في أذربيجان عن تاريخ علمائهم وسيرهم ، فتسبب في قلة التواصل الثقافي بين الأجيال ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل :

١- بيع الكتب وقلة الباقي منها ، حيث تم تلف آلاف الكتب التي ترجمت للعلماء بسبب تعرض المنطقة للحروب المتكررة من التتار ، ومن جاء بعدهم حتى الغزو الروسي .
٢- ما بقي من هذه الكتب على قلتها لم يترجم الى لغة المنطقة ، وذلك بعد تغيير الحرف العربي إلى الحرف الروسي .
٣- قلة عدد التراجم التي ترجمت لسير المتأخرين من العلماء والمشايخ والدعاة والفضلاء .
٤- قلة عدد المطبوع من هذه الكتب ، حيث ظلت المخطوطات عرضة للسرقة والضياع عبر القرون .
٥- قلة أو انعدام التواصل الثقافي مع العالم الإسلامي ، فكان الروس يمنعون استيراد الكتب التي تتحدث عن علماء الإسلام ، بل تعدى الأمر إلى مصادرة الكتب ، والمصاحف ، ومعاقبة من بيده شيء منها ، وذلك في قانون سنة ١٩٤٠م (١) .

لقد استطاع الروس السيطرة على المنطقة منذ وقت مبكر ابتداء من سنة ١٨٦٠م وعاثوا فيها فسادًا ، وهمشوا تاريخها الفكري والثقافي ، وعبثوا بعقائد أهلها ، وذلك على النحو التالي :

١- قاموا بتشوية سيرة العلماء العاملين والدعاة والصالحين ، وكل عالم دين ، فقد عقد الروس محاكمات علنية وسرية للعلماء ولمدرسي الدين في جميع

---

(١) محمد بن موسى الشريف: علماء آسيا الوسطى (التركستان) بين الماضي و الحاضر ، د.ت ، ص ١٤ ، ١٥.

أنحاء البلاد ، وذلك بدعوى أنهم أعداء الشعب ، ومحرضون ضد النظام العام ، فأصدروا ضدهم أحكاما متنوعة بالإعدام ، والاعتقال ، والأشغال الشاقة ، والنفي إلى معسكرات السُّخرة .

٢- منعهم من التواصل مع نظرائهم من علماء العالم الإسلامي عن طريق منعهم من السفر والحج ، بل والتنقل بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

٣- إغلاق المدارس التي كانت تخرج آلاف العلماء ، ففي سنة ١٩٢٦م أغلق الروس ١٥٠٠٠ مؤسسة تعليمية (١) .

ثانيًا : دفاع المسلمين التركستان عن هويتهم الإسلامية :

لقد واجه القياصرة فى بداية الأمر عدة مقاومات من المسلمين فى تركستان كلها مثل مقاومة الزعيم القوقازى (قازى ملا) ، الذى التفَّت حوله القبائل أكثر من عشرين عاماً لكن الروس كثفوا حملاتهم ضده وقتلوه ، ثم تولى بعده الشيخ شامل(٢) الذى نجح فى توسيع العمليات العسكرية ضد الروس لكنه استسلم بعد ذلك (٣) .

لقد كانت التركستان درعًا للإسلام ضد الحروب الصليبية عندما كانت تتمتع بالاستقلال ، ففى دولة مصر، توجد بعض الآثار التى لا زالت تحمل أسماء كمسجد أزبك بالسيدة زينب ، ومسجد كتخدا ، وابن طولون ، ثم حديقة الأزبكية التى كانت معسكراً للفرقة الأزبكية إحدى القبائل التركستانية التى قدمت إلى مصر للاشتراك فى صد هجوم الصليبين ، وبهذا تكون التركستان حاربت فى جبهتين : دول الغرب فى الشرق العربى ، وروسيا القيصرية والصين شمالى غرب آسيا ، ومن هنا أحس

---

(١) محمود الشريف : المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الإمام محمد شامل ، ولد في بلدة قمري عام ١٧٩٧م ، وقد استطاع أن يكون جيشًا نظاميًا ، وأسس في القوقاز مصانع لإنتاج المدافع والأسلحة والذخائر والبارود ، ووضع تنظيمًا لحكم البلاد في شكل مجلس تولى هو رئاسته ، وقد التفت حوله شعوب القفقاس كلها ، وكان هدفه حماية القفقاس الإسلامية من العدوان وترسيخ أحكام الإسلام في نفوس المسلمين وتربية روح الجهاد ، وقد كتب كارل ماركس عن بسالة الشيخ وقال : أيتها الأمم اعتبري بما يمكن أن يفعله الرجال في الحالات التي ترغب أن تبقى حرة، محمد ناصر العبودي : بلاد الداغستان ، ط ١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، د.ت ، ص ٢٥ .

(٣) عبدالله مبشر الطرازى : الجمهوريات الإسلامية في رابطة الدول المستقلة ماضيها وحاضرها ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٨ ، في الفترة (١١- ١٢ربيع الآخر/ ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) جامعة الأزهر، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص ١٣ .

الغرب (أوروبا المسيحية كلها ودول البلطيق المسيحية) بأهمية هذه البلاد التى تمول الشرق الأوسط بالمتطوعين فقرروا أن يتجهوا إليها للقضاء عليها وذلك بتأييد روسيا وتشجيع عدوانها على التركستان (١) .

لقد شهدت بلاد التركستان حركة مقاومة شعبية إزاء هذه السياسة الاستعمارية التعسفية منذ تشكلت حركة للمقاومة الشعبية سنة ١٩١٨م يتزعمها رجال الدين ويرأسهم السيد عالم خان حاكم إمارة بخارى ، وكان فدائيو تركستان يسلكون مع الجيوش الروسية حرب العصابات فكانت مصدر خطر يقلق الحكومة؛ لذا أطلقت على فدائييها اسم (باسماج) وهو باللغة التركية (قاطع طريق) وكان هذا الاسم من قبل السلطات الروسية نابعاً من طبيعة عملهم الفدائي، وكان لواء هذه المقاومة الشعبية الوطنية قد توحد تحت قيادة (أنور باشا) في مدينة بخارى سنة ١٩٢٤م الذي نجح في تكوين جيش وطني من خمسة عشر ألف مجاهد ، وفتح مدنا كثيرة حررها من يد الروس(٢) ؛ ومنذ بداية الاحتلال السوفيتي بدأ التركستانيون مقاومتهم تحت قيادات عديدة ، وقام العلماء والسياسيون بتشجيع المقاومة ، ورفض الاستيلاء الروسي الشيوعي الغاشم على تركستان ، وشكلوا جبهة التحريرالتركستانية السرية للاتصال بالعالم وتوجيه المقاومة التي دامت من ١٩١٨ إلى١٩٢٣م قوية ، ثم ضعفت عام ١٩٣٢م لأنها لم تتلق أي دعم من أي دولة (٣) .

ومن الذين كان لهم دورٌ أيضًا في قيادة الشعب التركستاني وحركات المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الشيوعي العلامة (أبو النصر مبشر الطرازي) الذي ظل مكافحًا ضد الاحتلال الروسي الشيوعي وحركة الإلحاد لمدة اثني عشر عامًا ، وقام بتشكيل اتحاد الطلبة التركستانيين عام١٩١٧م لمواجهة الإلحاد فقبض عليه وصدرت جميع مؤلفاته التركية والفارسية والعربية؛ كان الطرازي على رأس

---

(١) محمد سعيد إسماعيل: بلاد الإمام البخارى ماضيها وحاضرها ، جـ ١ ، دار الزينى ، القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥١م ، ص ١٢.

(٢) أحمد فؤاد متولي ، هويدا محمد فهمي : الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز الحاضر والمسقبل، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ،مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، د.ت، ص ١٧٥.

(٣) عبدالله مبشر : الجمهوريات الإسلامية في رابطة الدول المستقلة ماضيها وحاضرها ، ص ١٤ .

حركات المقاومة الشعبية التي استمرت خمسة عشر عامًا، والتي ضحت فيها تركستان بأرواح خمسة ملايين شهيد وخمسة ملايين تم نفيهم إلى معتقلات سيبيريا وثلاثة ملايين تركوا ديارهم، واضطر الطرازي أن يهاجر إلى أفغانستان بعد أن سجن ثلاث مرات ، ونُفي مرة (١) .

لقد أعلن القوقازيون ثورتهم بقيادة الإمام الداغستاني نجم الدين غرتو الذي عرف عند الروس باسم نجم الدين غوتسنكي وذلك في نهاية ١٩١٧م وقد سبقه مجموعة من القواد المجاهدين وعلى رأسهم الإمام الشيخ محمد شامل وشيخه الإمام القاضي ملا محمد المشهور بالغازي محمد الكمراوي ، والأمير المجاهد حمزة الخزناجي الذين قادوا ثورة القوقاز من سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٩٠٨م ومنهم الإمام خليفة محمد الذي قام بثورته ضد القياصرة سنة ١٨٩٨م فى فرغانة الواقعة على نهر(سيحون ، سرداريا) في المنطقة الواقعة اليوم في جمهورية أوزبكستان) ، وكذلك الشيخ منصور الشامل قائد أول ثورة ضد الغزو الروسي وكان ذلك سنة ١٧٨٥م، وقد سبقت ثورة الإمام خليفة محمد على ست عشرة ثورة في التركستان وذلك منذ عام ١٨٨٠م واستمرت ثورة الإمام نجم الدين غوتسو وأعلن القوقاز استقلاله في مايو سنة ١٩١٥م تبعته جورجيا بعد بضعة أسابيع(٢) .

كانت سياسة القياصرة تستهدف طرد المسلمين أو تنصيرهم ، وقد تم ذلك بالفعل مع كثير من أهل التتار المسلمين في حوض الفولجا ، ومع كثير من أهل بشكيرستان ، واضطر الكثير منهم إلى التنصير ، وترك ديانتهم الإسلامية هربًا من الإبادة التي كان يقودها إيفان الرهيب قيصر روسيا في ذلك الوقت ، إلا أن مجموعة كبيرة منهم ظلت محافظة على إسلامها زمنًا طويلاً في الخفاء ، وأمام كل هذه

---

(١) عبد الله مبشر الطرازي: من علماء الإسلام فى تركستان سيرة سماحة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني كبير علماء تركستان وجهوده في الدعوة إلى الاتحاد الإسلامي ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٥ ، في الفترة (١١- ١٣ ربيع الآخر / ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٨٢ ، وما بعدها ، محمد نور الدين عبد المنعم: العلامة الطرازي المجاهد التركستاني ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، جـ ٥ ، الفترة (١١- ١٣ ربيع الآخر / ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٧٣ .

(٢) محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، جـ ١ ، ص ٣٥٠.

الضغوط اضطر شعب تركستان للمقاومة ، والجهاد من خلال : الشعراء الذين يبثون روح اليقظة ، والمقاومة ، وشرعية الجهاد ، وثانيا من خلال المقاومة المسلحة ، فكان للشعراء مساهمة جادة في التوعية وإيقاظ الوعي القومي ، ومنهم شعراء : خوقند ، وسمرقند ، وبخاري ، وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهر العديد من الشعراء الذين أخذوا ينشدون أشعار اجتماعية ، وغنائية ، ودينية في مناسبات عدة تدعو الشعب للمقاومة والاتحاد ضد الحكم القيصري ، وكان هؤلاء الشعراء في نظر الحكم القيصري أكثر خطرًا من المقاومة المسلحة ، وذلك لأن الشعر بألوانه المختلفة من نثر ، أو منظوم ، أو معنى ، أو غير ذلك ، يحافظ على الْهُوِيَّة والقيم ، والذات ، والتراث ، ويرفع من الروح المعنوية للشعب ، وينبه إلى شرعية وضرورة المقاومة والجهاد ، باعتبارهم يعبرون عن إرادة الشعب في الحفاظ على هويته ، وقوميته ، ويشكلون في نظر القياصرة القوة الخفية التي تبث روح الكفاح الوطني ، والنضالي للشعب التركستاني (١) .

لقد قاوم المسلمون في أذربيجان جميع موجات الكفر ومخططاته بعود صلب، وهمة عالية ، وهذا يدل على أن أولئك القوم كانوا يحملون همّ الإسلام في قلوبهم ، عن طريق الآتي :

١) عدم الاعتراف بالأسماء الرسمية التى فرضها الشيوعيون إلا عند المعاملة فى الجوازات ، بل إن كثيرًا منهم لم يحفظ اسمه الرسمى ، وإنما يخرج جواز سفره ويقرؤه .
٢) تربية الأولاد على بغض الروس وكراهية عاداتهم وتقاليدهم .
٣) تعليم أولاد المسلمين أحكام دينهم والاعتزاز به عن طريق التعليم فى السر بعيدًا عن أعين الروس ، بل وصل الأمر إلى أن الجار لا يعرف عن ذلك شيئًا وكان التلاميذ لا يعرفون اسم شيخهم لكى لا تعلم المخابرات الروسية بذلك ، وكان بعض المسلمين يقوم بتعليم أولاد المسلمين سرًا تحت السراديب

---

(١) سعيد أحمد : التأثير الأيديولوجي للروس على المجتمعات الإسلامية بوسط آسيا(أوزبكستان نموذجا) ، ص ٩٥ .

في حجرات بيته والمأكل والمسكن على نفقته الخاصة ابتغاء مرضاة الله .

٤) تربية أطفال المسلمين على حب اللغة العربية (١) .

لقد عاشت اللغة العربية في القوقاز حياة كاملة لا في الكتابة فقط بل وفي الحديث أيضًا ، بل إن قوة تيار التراث العربي القديم في القوقاز استطاعت أن تحمل حتى أيامنا اللغة العربية الفصحى التي لا تستخدم في التخاطب العام في موطنها في البلاد العربية (٢) .

ويقول إمام مسجد البخاري : كنا نلجأ إلى المقابر والصحراء لأداء صلاة العيد ، فلم يكن يسمح لنا بالصلاة في الساحات العمومية خوفًا من انتشار الإسلام ؛ أما الآن - بعد الاستقلال - فنصلي علانية ، وفي أماكن العمل دون أن يمنعنا أحد أو يهدد استمرارنا في الوظيفة ؛ وهكذا استطعنا المحافظة على هويتنا الإسلامية ؛ ومن ذلك أيضًا إذا كان حفظ القرآن الكريم لا يوجد في المناهج الدراسية ، فإنه يوجد في مناهج الأسرة ، فالأسرة هي التي تقوم بذلك ، ثم المسجد ، لذا فإن التمسك بالعقيدة الإسلامية هو سر النجاح في مواجهة أي محاولة معادية لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم ، كما أننا نتحرك الآن لإقامة المحاضرات والندوات وأداء الخدمات الدينية ونتنقل للتشاور في شؤون المسلمين في سهولة ويسر دون تعقيدات أو مخارف كما كان في السابق ، لقد كنا نصوم رمضان سرًا ، ومن كان يعمل في مؤسسات الدولة كان يتعرض للعقوبة إذا علم أنه صائم ، بحجة أنه يقصر في أداء عمله نتيجة لصيامه، وكانت المخابرات السوفيتية تلجأ إلى تلاميذ المدارس لجمع المعلومات عن آبائهم فيما يتعلق بممارسة العبادات داخل بيوتهم ، وكانت تخصص مجموعة من عملاء المخابرات للترصد بالمساجد وتسجل أسماء المترددين عليها ، ومن ثم تتم متابعتهم ووضعهم في قوائم المراقبة المستمرة (٣) .

---

(١) يحيى اليحيى : المسلمون والعالم مشاهدات فى بلاد بخارى ، العدد ٦٠ ، مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص ٦٢ .

(٢) رأفت غنيمى الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر ، ط ١ ، جامعة الزقازيق ، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ١٨١

(٣) أحمد فؤاد ، هويدا محمد: الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز الحاضر والمستقبل ، ص ٦ .

ثانيًا : دور الطرق الصوفية والحركات الإسلامية فى الحفاظ على الْهُوِيّة الإسلامية أثناء الاحتلال القيصري والشيوعي .

أولاً : دور الطرق الصوفية فى الحفاظ على الْهُوِيّة الإسلامية :

نشأ التصوف في بادئ الأمر على يد صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- والتابعين في أحضان الكتاب والسنة ، متمثلًا في الزهد في متاع الحياة الدنيا والرضا منها بالقليل ؛ ويعد التصوف المصب الذي التقت فيه معظم روافد الفكر ، فهو يتسع لمعظم المذاهب والفرق ، وقد امتد التصوف ليشمل كافة الأقاليم الإسلامية ومنها أذربيجان لأنه في الغالب نزهة روحية سلوكية لا تعرف حدودًا مكانية ولا تختص بها فرق مذهبية دون أخرى ؛ لقد كان إقليم أذربيجان واحدًا من أكبر مراكز التصوف في الدولة الإسلامية (١) ؛ وذلك لأن الصوفية يتعمقون بالعقيدة في نفوس طبقات العوام ويكسبون قلوب الجماهير في مناطق البدو بحياتهم المتقشفة وسيرتهم وزهدهم وعمق إيمانهم وصدق دعوتهم(٢).

لقد كان للطرق الصوفية وعلمائها الفضل في إسلام المغول ، وتعميق الإسلام بينهم على مدى العصور ، وتحولهم إلى صف الإسلام والدفاع عنه ونشره(٣) .

كما يرجع الفضل لهم أيضًا في انتشار الإسلام في تلك البقاع ، وانتشارهم هناك يدعون الناس إلى الإسلام ويعلمونهم مبادئه وأحكامه ويعطونهم القدوة الحسنة حتى تحول الجميع بفضلهم إلى الإسلام (٤) ؛ حيث كان سلوك الصوفية يتواءم مع طبيعة هذه البلاد وأهلها ، فقد عمل التصوف على علاج أمراض الشخصية القومية التي تسببت فيها البيئة وأهمها حالة الاغتراب التي يعيشها أهل هذه البلدان نتيجة

---

(١) الشحات إبراهيم السيد : أذربيجان من الفتح الإسلامي حتى نهاية عهد الساجيين ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب ، المنصورة ، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، ص ١٩٠ .

(٢) محمد علي البار : التركستان مساهمات وكفاح ، جدة ، د.ت ، ص ٢٠.

(٣) محمد علي البار : المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، جـ ١ ، ص٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٤) أحمد رائف : مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر ، ص ٢١٣ .

الكوارث الطبيعية أو السياسية أو الحربية التي عاشوها طوال تاريخهم الطويل والتي حولت وحدتهم إلى حد التمزق ، فكان التصوف وسيلة لأن يكون الاغتراب فرارًا من الدين لرفض الذوبان الفكري ، ورفض التجنس العرقي أو الاندماج الحضاري مع حضارات أخرى أجنبية ، وقد استطاعت الصوفية في المرحلة القيصرية والشيوعية أن تحافظ على تلك البلدان وعلى هويتها الإسلامية (١) .

لقد كانت الدعاية السوفيتية في عهد ستالين وخورتشوف وما بعدها عام ١٩٦٦م تقول إن هناك تيارين في الإسلام :

١- تيار تمثله المساجد ويتزعمه المفتون وشيخ الإسلام ، وممثلو الهيئات الإشرافية الدينية .

٢- التيار الذي يمثله الدراويش والطرق الصوفية الذين يقيمون خارج المدن ويتزعمه شيوخ المتصوفة ومؤسسو الطرق والمرشدون ، ولقد كان الشباب الصوفي يمثل عند الروس الخطر الأكبر نظرًا لثقافته (٢).

وكان الإسلام عند الروس ينقسم إلى الإسلام الرسمي وغير الرسمي ، فلقد قام الروس بقيادة ستالين بمنح الإسلام مظهرًا رسميًا يتولى أمره إدارة خاصة تعطي له شكلا شبه رسمي تحت الرقابة المشددة من الحكومة الروسية ، وتُعنى هذه الإدارة بشأن السنيين والشيعة وتهتم بشؤون الإفتاء وقسم الإسلام الرسمي جغرافيًا إلى أربع إدارات روحية برئاسة المفتي وهي :

١- الإدارة الروحية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وهي إدارة سنية حنفية المذهب .

٢- الإدارة الروحية لمسلمي روسيا الأوربية وسيبيريا وهي سنية على المذهب الحنفي .

---

(١) سعيد أحمد : محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، ص١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) هدى درويش : انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز ، ، ط ١ ،عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٤م ، ص ١٢ .

٣- الإدارة الروحية لمسلمي القوقاز الشمالي وداغستان وهي سنية على المذهب الحنفي .

٤- الإدارة الروحية للمسلمين الشيعة والسنة فيما وراء القوقاز وهي شيعية على المذهب الجعفري ، وسنية على المذهب الحنفي ومركزها باكو في أذربيجان(١) .

وكل نشاط يخرج عن هذه الإدارات فهو غير قانوني وهم الوحيدون المصرح لهم بتمثيل المسلمين السوفييت في الدول الإسلامية ، والحياة الدينية مقتصرة على إقامة الصلاة داخل الجامع ومواعظ الأئمة الخطباء وهم مراقبون رقابة شديدة ويمنع منعًا باتًا في الجوامع جباية الزكاة أو توزيع الصدقات ، ودور الدعاة يكمن في الحفاظ على ولاء المسلمين للحكومة السوفيتية ؛ ولولا الإسلام المتوازي الذي يشكل الإسلام الحنفي الذي يديره متصوفة تلك المناطق غير الرسميين لأصبح الإسلام في طي النسيان (٢) .

لقد أدى أتباع الطرق الصوفية دورهم التعليمي ، فكان مديرو المدارس السرية هم أتباع الطرق الصوفية ، حيث كانوا يعملون على تنشئة الأجيال تنشئة إسلامية وتعليمهم مبادئ القرآن ، وتنظيم دورات تعليمية دينية جماعية (٣) .

لقد كان نشاط هذه الطرق ينحصر في نقطتين أساسيتين هما :

١- تربية المسلم تربية روحية وفكرية منظمة ، وخلق إرادة إيمانية في نفس كل مؤمن والارتقاء به إلى أعلى مراتب الإسلام .

٢- العمل على تكوين مجتمع إسلامي منظم تنظيمًا مثاليًا بحيث يصبح كل شخص في المجتمع متمما للآخر فينتج عنه مجتمع إسلامي منظم يرتضيه الله (٤).

---

(١) هدى درويش : المرجع السابق ، ص ١١٠ .
(٢) نفسه ، ص ١١٠ .
(٣) نفسه ، ص ١١١ .
(٤) نفسه ، ص ١٢ .

كانت الطرق الصوفية خلال الحقبة السوفيتية تقوم بالدعوة إلى الإسلام ، وإقامة المساجد السرية وحلقات قراءة القرآن ، وأهمها هى :

١- الطريقة النقشبندية : حيث تعتبر من أوسع الطرق انتشارًا فى الاتحاد السوفييتى ، تأسست على يد الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند فى مدينة بخارى الذى يقول بانتسابه لأبى بكر الصديق-رضى الله عنه- ولد الشيخ عام٧١٨هـ/ ١٣١٧م ، وتوفي عام ومركزها بخارى ومريدوها في جميع أطراف البلاد ، ومركزها الأساسي فى القوقاس ، وتعتبر هذه الطريقة المحرك الرئيس للجهاد فى وجه المستعمر الروسى القيصرى ثم فى العهد الشيوعى ووصل جهاد أتباعها إلى أذربيجان وخارج آسيا الوسطى (١) ، وقد كانت هذه الطريقة تحتل المركز الأول بين الطرق الصوفية من حيث انتشارها وعدد المريدين والمنتسبين إليها وكان من أسباب انتشارها : أنها كانت تتسم بعدم التعصب وعدم الزهد المطلق ، بل كان من ينتسب لهذه الطريقة يندمج في المجتمع ، ويتوافق سلوكه مع ظروف الحياة الاجتماعية ، وكان جهاد هذه الطريقة ينصب على محاربة البوذية ثم الروس(٢) .

٢- الطريقة القادرية : تعد من أقدم الطرق بالمنطقة ، وتنتسب إلى الإمام الرباني المجاهد الشيخ عبدالقادر الجيلاني الحسني المتوفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦م وانتشرت هذه الطريقة في معظم أرجاء العالم الإسلامي ، وفي البلاد العربية، وشمال أفريقيا ، وتركيا ، والهند ، وفي الاتحاد السوفيتي ، وتتركز الطريقة القادرية في عدة مناطق في القوقاز وآسيا الوسطى (٣) ؛ وتحتل المكانة الثانية بين الطرق الصوفية من حيث انتشارها ، وعدد المريدين ، والمنتسبين إليها ، وكان مركزها بغداد ، ثم انتقلت إلى إيران ، ثم طردت منها ، لأن الشيخ عبد القادر كان سنيًا حنبليًا ومعاديًا للشيعة ، ومن ثم نجد

---

(١) هدى درويش : المرجع نفسه ، ص ١٢ .
(٢) محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ص ٣٥٠ .
(٣) سعيد أحمد : محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، ص ١٧١ .

هذه الطريقة كان لها دور فعال في الحفاظ على الْهُوِيَّة الإسلامية وفي تثبيت وترسيخ قيم الإيمان والإسلام في نفوس المسلمين وكانت عونا ودافعًا نفسيًا لاستمرار المسلمين في الجهاد ، والانتشار ، والحفاظ على الْهُوِيَّة الإسلامية ضد أي فكر ملحد ، ودخيل(١).

وتختلف الطريقة القادرية عن الطريقة النقشبندية بأن القادرية يعتمدون الذكر العلني بينما يعتمد النقشبنديون الذكر الخفي ، مما جعل الروس يطلقون عليهم اسم شيبتوني أي المتمتمين ، بينما يطلق الروس على الطريقة القادرية اسم ذيكريستي أي : أصحاب الذكر العلني ، ولقد استقطبت الطريقة القادرية الطبقات الشعبية ، بينما استقطبت الطريقة النقشبندية أغلب علماء الدين والمثقفين ، وبينما كانت الطريقة النقشبندية أكثر استعدادًا للصراع المكشوف ضد الروس ، كانت الطريقة القادرية أميل للصراع السري (٢) .

٣- الطريقة الكبروية : أسسها الشيخ نجم الدين كبري الخورازي ١١٤٥هـ/ ١٢٢٠م ، وقد قتل على يد المغول أثناء استيلائهم على خوارزم وشاء الله أن تدخل قبائل المغول المهاجرة الإسلام على يد أصحاب هذه الطريقة ، وكانت هذه الطريقة تؤدي أذكارها وأورادها بطريقة علنية ، ولكن بعد الاستيلاء الروسي على تلك المنطقة وملاحقة أتباع الطريقة ، أصبحت الأذكار خفية مثل الطريقة النقشبندية وظلت وما زالت قائمة ومحافظة على روح الإسلام وعلى القيم والتقاليد الإسلامية من عبث الملحدين(٣) .

ويتزعم هذه الطريقة أربع قبائل كلها تنتمي إلى آل البيت النبوي الشريف وهذه القبائل الهاشمية العربية هي :

أ- قبيلة عطا : وموطنها شرق تركمانستان في وادي جيحون(أمداريا) .

---

(١) نفسه ، ص ١٧٣ .
(٢) محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، جـ ١ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٤ .
(٣) سعيد أحمد : محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، ص ١٧٣ .

ب-قبيلة حجة : وموطنها غرب تركمانستان شمال كراسنوفودسك ، وهي المنطقة التي حكمها أولاد الإمام زين بن على ابن الإمام السبط الحسين بن على في طبرستان .

ت-قبيلة السيد : وموطنهم غرب تركمانستان جنوب خليج كارابوغاز .

ث-قبيلة الشيخ : غرب تركمانستان أيضا شمال مدينة كراسنوفودسك (١) .

٤- الطريقة اليسوية : تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ أحمد اليسوي ، وكان شاعرًا عظيمًا ، وكان لأشعاره تأثيرٌ كبيرٌ في دخول قبائل الترك والمغول للإسلام (٢) إذ إن مؤسسها الشيخ أحمد اليسوي نفسه من هؤلاء المغول وقد نشأ هذا الشيخ وتوفي في مدينة يس التي عرفت فيما بعد باسم تركستان وهي في منطقة تشيمقند (حاليًا في جمهورية قازاقستان) ، وقد كانت وفاته سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م وكان لتلامذته وأتباع طريقته دور كبير في انتشار الإسلام بين المغول والقبائل التركية كما كان لهم دور كبير في تجذير الإسلام وتعميقه في نفوسهم وفي العصور الحديثة (٣) .

لقد قام شيوخ هذه الطريقة بمقاومة القياصرة وعندما قامت ثورة لينين ضد القياصرة وأعلن وعوده الكاذبة للمسلمين بأنهم سيعطون حريتهم الدينية والسياسية كاملة ، صدق كثير من المسلمين ومن بينهم بعض مشايخ الطريقة الياسوية ، وانقسمت هذه الطريقة إلى فرقتين فرقة صدقت لينين ووعوده الخلابة للمسلمين ووقفت معه لتحارب روسيا البيضاء ، وتعرف هذه الفئة باسم (لاشي) ، وفرقة لم تصدق وعود لينين وحاربته منذ أول وهله كما حاربت قوات القياصرة وتعرف هذه الفئة باسم (الايشان)- مركزها مدينة أرسلانبار في وادي فرغانة وأتباعها منتشرون في قرغيزيا وأوزبكستان- ، أما فئة لاشي التي تعاونت أول الأمر مع لينين وصدقته فسرعان ما عرفت الحقيقة وتحولت إلى العمل السري ضد الشيوعية وفي عام

---

(١) محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .
(٢) سعيد أحمد : محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، ص ١٧٣ .
(٣) محمد علي : المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، جـ ١ ، ص ٣٩٣ .

١٣٧٠هـ /١٩٥٠م اكتشفت السلطات تنظيمات الصوفية المناهضة للسوفيت ، وقامت الحكومة بإجراءات تعسفية في ملاحقتهم بعد أن قتلت جميع من قبضت عليهم من زعمائها ، ورغم ذلك بقيت هذه الطريقة تعمل سرًا لنشر الإسلام ومحاربة الإلحاد والشيوعية (١) .

وبذلك نجد أن التصوف في منطقة آسيا الوسطى وأذربيجان ، كان له أثر عظيم في تثبيت وترسيخ الإسلام والمحافظة عليه ، وعلى هويته ، ضد الفكر الشيوعي الملحد وكانت تلك الطرق الصوفية هي التي تقود الثورات وحركة المقاومة ضد الروس(٢).

ثانيًا : دور الحركات الإسلامية في الدفاع عن الْهُوِيّة الإسلامية :

كان لبعض الحركات الإسلامية مثل (حزب النهضة الإسلامي ، وحركة ألاش أوردا ، والحركة المريدية) دور في الحفاظ على الْهُوِيَّة الإسلامية في أذربيجان ودول آسيا الوسطى خلال فترة الاحتلال الشيوعي الذي كان يعمل على القضاء على الإسلام ونشر الإلحاد ، حيث كان لها شعبية كبيرة وسط الجماهير ، فقد قام حزب النهضة أثناء فترة الاحتلال بتدريس علوم الدين للشباب على يد العلماء لمواجهة السياسة الشيوعية التي تريد القضاء على الإسلام ، وبعد الاستقلال كان له تأثيرٌ كبيرٌ على الحياة السياسية ، لكنه انخرط في الحرب الأهلية بعد الاستقلال ، والتي أدت إلى خسائر كبيرة في الأرواح بين الطرفين مما أدى إلى تقاسم السلطة بينه وبين الشيوعيين ، لكن ما لبث بعد ذلك أن أزيح من السلطة ، وأصبح محظورًا أما حركتا (ألاش أوردا ، والمريدية) فقد دعت كل منهما إلى تطبيق مبادئ الإسلام وطرح قضايا اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية ، ولم يتورطا في عنف رغم حظر بعضها(٣) .

---

(١) نفسه ، ص ٣٩٤ .
(٢) سعيد أحمد : محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، ص ١٧٤ .
(٣) مصطفى رمضان : المسلمون في آسيا الوسطى وإيران ، جامعة الأزهر ، د . ت ، ص ٢١٩.

أولا : دور حزب النهضة الإسلامي :

نشأ في مدينة أستراخان الواقعة في جنوب روسيا في ٩ / ٦ /١٩٩٠م ، وعلى ضفاف نهر الفولجا ، وكان رئيسه (أحمد قاضي) من داغستان (١) ، وجاء اسم الحزب نسبة إلى مكان النهضة في الطالقان ، حيث كان مقر الحزب هناك ، وهو حركة سياسية تعمل في روسيا ، وطاجيكستان ، وأوزبكستان ، ومن قبل كانت حركة سرية تستهدف محاربة الشيوعية ، وجمع شمل المسلمين في كل الاتحاد السوفيتي سابقًا (٢) ، ومع عام ١٩٩٠م كان يوجد تسعة أفرع لحزب النهضة الإسلامي في ٩ جمهوريات سوفيتية سابقة منها أوكرانيا ، وجورجيا ، وروسيا ، وجمهوريات آسيا الوسطى الخمس (٣) .

كما يعد الحزب من أوائل الأحزاب السياسية في آسيا الوسطى التي أدرجت مهمة التحرر الوطني ، وبناء الدولة الديمقراطية ، كما يعد الحزب الأكبر ، والأعرق ، والأقوى من الناحية العقائدية ، والأيديولوجية ، والسياسية ، والتنظيمية ، وكان ينظر للحكم القيصري والشيوعي على أنه تحطيم للإسلام والمسلمين روحيًا ، وعقائديًا ، وثقافيًا (٤) .

وتقوم أهداف الحزب على الآتي :

١) إرجاع المسلمين إلى الإسلام ، وتنقيته من مخلفات وبقايا مراحل الانحطاط السوفيتي .
٢) إعلان الحزب في أول مؤتمر له بمدينة أستراخان التتارية عام١٩٩٠م أن أهدافه مماثله تمامًا لأهداف الثورة الإيرانية .
٣) إحياء الكتاب والسنة والقضاء على البدعة ، وإبلاغ الكلام بمعناه الصحيح إلى الناس في كل مكان على نهج الرسول(صلى الله عليه وسلم)، ودعوة غير المسلمين من روس وأوكرانيين وغيرهم إلى الإسلام ، وأن نقدر الجهاد قدره ونضعه في المحل اللازم .
٤) يسعى للحصول على الاستقلال السياسي والاقتصادي لطاجيكستان .

---

(١) أحمد رانف : مستقبل الإسلام فى روسيا وما وراء النهر ، ص ٢٩٩ .
(٢) فوزي محمد طايل: آثار تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن الأمة الإسلامية ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٨ ، في الفترة(١١- ١٢ربيع الآخر/ ٢٨- ٣٠ سبتمبر) جامعة الأزهر، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٦٩.
(٣) رشا محمود السيد عيد الباز : الانعكاسات الإقليمية والدولية للتهديدات الأمنية في منطقة آسيا الوسطى ١٩٩١- ٢٠٠٥م ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، سنة ١٤٣٢هـ /٢٠١٠م ، ص٤٨.
(٤) ميثم الجنابي : الإسلام السياسي في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض ، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م ، ص ٦٧ ، ٧٠ .

٥) إيجاد دولة ديمقراطية تسعى للاستقرار وتتعهد بالالتزام بالقانون (١) .

الدور الذي قام به اتجاه السياسة الشيوعية :

لقد ظلت دراسة الدين قبل انهيار الاتحاد السوفيتي بثلاثين عامًا سرًا في المنازل ولم يتوقف طوال الحقبة الشيوعية ، فيذكر الأستاذ (محمد عبد الحي) ممثل نائب رئيس الوزراء في الحكومة الإسلامية ١٩٩٢م " كنا ندرس في منازلنا كل العلوم الدينية ، وفي الستينيات بدأت الدراسة السرية لعلوم الدين تنتشر على يد اثنين من العلماء الذين تعلموا في جامعات العالم الإسلامي، وفي عام١٩٧٤م بدأت الحركة الإسلامية المنظمة سرًا واستمرت هكذا بزعامة السيد (عبد الله نوري) حتى عام ١٩٩٠م حتى تم تأسيس حزب النهضة الإسلامي رسميًا عندما أعلن عن حرية تأسيس الأحزاب في البلاد ، وتولى رئاسته(محمد شريف زاده) ونائبه (دولت عثمان) الذي تولى منصب رئيس الوزراء ، كما أصدرت الحركة عدة صحف إسلامية سنة ١٩٩٢م منها : صحيفة (النجاة ، خبر الحق ، نور الإسلام) (٢) .

ثانيًا : حركة ألاش أوردا :

ظهرت الحركة (ألاش أوردا) في أوائل القرن العشرين ردًّا على تفاقم المشاكل الاجتماعية كـتوطين الفلاحين الروس ، والمشاكل الزراعية التي مات فيها مئات الآلاف من الفلاحين الكازاخ ، والسياسة التي تسبب فيها الاستعمار الروسي في كازاخستان(٣) ، حيث كانت الحركة التجمع الوطني لكافة الفصائل الثورية الكازاخية ضد الحكم الروسي الشيوعي بدءًا من عام ١٩١٦م ، وفي بداية الاستقلال أسس أعضاؤها حزبا سياسيًّا(حزب ألاش أوردا) في كازاخستان سنة ١٩٩٠م ، ويعتبر السيد(رشيد يوتوشييف) من المفكرين المرموقين في الحزب ، وكانت كتاباته تتجه إلى التخلص من الربقة الروسية والمخلفات الماركسية ، ويرى أن الإسلام قوة سياسية وروحية ، ودين ودولة ، وليس مجرد دين كالأديان الأخرى(٤).

---

(١) محمد عطية محمد محمود قنديل : الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى بين الإيجابيات والسلبيات، من الاحتلال الروسي حتى سنة ٢٠١٥م ، رسالة ماجستير ، قسم الأديان ، جامعة الزقازيق ، مصر ، سنة ٢٠١٧م ، ص ١٢١ .

(٢) مصطفى رمضان : المسلمون في آسيا الوسطى وإيران ، ص ٢١٨.

(٣) محمد عطية : الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى بين الإيجابيات والسلبيات، من الاحتلال الروسي حتى سنة ٢٠١٥م ، ص ١٢٣ .

(٤) عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، ط ٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ص ٢٧.

ويعتمد الحزب على الشباب والمثقفين ، وهو الحزب الوحيد الذي ينتقد السلطة بكل قواه ويعمل من أجل نشر أفكاره وأهدافه التي على رأسها بناء الوحدة الاجتماعية ، والحرية والديمقراطية ، والدولة الإسلامية الموحدة لتركستان (١) .

أفكاره ومبادئه :

١- تطبيق مبادئ الإسلام ، والعمل على نشرها بين الناس .

٢- مقاومة الوجود الروسي في البلاد عن طريق عدم الأخذ باللغة الروسية ؛ لأنها ترسخ للقيم الغربية المعادية للإسلام والأصالة الكازاخية ، والتي تؤدي إلى طغيان الفرد والطبقة والحزب ، ويصدر الحزب جريدة (الحق) ، ويجعل شعارها (الْهُوِيَّة الإسلامية للكازاخ) كهوية ثقافية وحيدة (٢) .

ثالثًا : حزب المساواة الأذربيجاني :

تشكل عام ١٩٠٤م ، وكان ضمن حزب وطني يضم نخبة من المفكرين ، والسياسيين ، والوطنيين أمثال (أحمد أغا أوغلو ، وحسن باي زرادبي ، وهاشم وزير ، ومحمد أمين رسول زاده) ، وفي عام١٩١١م انقسم هذا الحزب بتأثير من الحركات الاشتراكية والشيوعية الروسية إلى جناح يميني معتدل عرف باسم حزب المساواة تزعمه محمد أمين رسول زاده ، وجناح يساري عرف باسم حزب (همت) تزعمه ناريمان ناريمانوف الذي غدا رئيسًا للحزب الشيوعي الأذربيجاني عام ١٩١٨م ؛ وقد تولى رئاسة أذربيجان السيد (محمد أمين رسول زاده) رئيس حزب المساواة الذي بلغ عدد ممثليه ٣٣ شخصًا في البرلمان البالغ عدده ١٢٠عضوًا ، لكن لم يدم الأمر أكثر من ٢٣ شهرًا حتى احتل الروس أذربيجان، وتولى ناريمانوف رئيس الحزب الشيوعي الأذربيجاني ، الذي أعلن خضوعه للروس عام١٩٢٠م (٣) .

هدفه :

كان هدفه الرئيس الذي يسعى إلى تحقيقه هو تولي اللجنة الإسلامية إدارة البلاد(٤).

---

(١) ميثم الجنابي : الإسلام السياسي في جمهوريات آسيا الوسطى ، ص ١٠١.

(٢) عبدالمنعم الحنفي : موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، ص ٢٧ .

(٣) محمود شاكر : المسلمون في الإمبراطورية الإسلامية ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ١٤٥ .

(٤) محمد ناصر العبودي : جمهورية أذربيجان ، ط ١، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص١٤٥ ، ١٤٦ .

رابعًا : الحركة المريدية :

أيضًا ظهرت حركة وطنية إسلامية عرفت بالمريدية ، لتدافع عن الْهُوِيَّة الإسلامية وعن البلاد الإسلامية ضد السياسة الشيوعية الإلحادية ، تولى زعامتها ثلاثة من الأئمة ، هم :

١- الإمام غازي محمد الذي يعرف باسم قاضي ملا (القاضي العالم) ، فقد كان فقيهًا عالمًا ، ولد في بلدة قمري في عام ١٧٩٣م .

٢- الإمام حمزة وهو من أمراء الافار ، ولد في قرية هو زالت عام ١٧٨٩م .

٣- الإمام محمد شامل ، ولد في بلدة قمري عام ١٧٩٧م ، وقد استطاع أن يكون جيشًا نظاميًا ، وأسس في القوقاز مصانع لإنتاج المدافع والأسلحة والذخائر والبارود ، ووضع تنظيمًا لحكم البلاد في شكل مجلس تولى هو رئاسته ، وقد التفت حوله شعوب القفقاس كلها (١) .

نشاطه :

كان هدف الشيخ محمد الشامل حماية القفقاس الإسلامية من العدوان عليها ، وترسيخ أحكام الإسلام في نفوس المسلمين وتربية روح الجهاد ، وقد كتب كارل ماركس عن بسالة الشيخ وقال : أيتها الأمم اعتبري بما يمكن أن يفعله الرجال في الحالات التي ترغب أن تبقى حرة ، لقد ظل أكثر من ٣٥ عامًا يحارب الروس ، وأنزل بهم هزيمة ساحقة حيث أجلاهم عن بلاد القفقاس ، واغتنم أسلحتهم مما أثار هلع الروس ، حيث دفعت روسيا بـ ٣٠٠ ألف جندي فقضت عليه سنة ١٨٥٩م(٢).

---

(١) محمد ناصر العبودي : بلاد الداغستان ، ط ١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، سنة ١٤١٣هـ ، ص ٢٥ .
(٢) نفسه ، ص ١٩ .

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج :

١- فشل الشيوعية وانهيارها بسبب فقدان الدين ، والفساد الأخلاقي ، وسلب حرية الفرد ووضعه تحت الوصاية القهرية والرقابة الشديدة .

٢- لم تنجح الشيوعية في إلغاء نظام الطبقات وعجزت أن تقرب بينها وبين الحكام .

٣- قام المسلمون بمقاومة حكام القياصرة قبل الثورة الشيوعية حيث كانت بعثات التنصير تعمل على نشر سمومها بين المسلمين ، ولكنها لم تأت بأية نتيجة ، فقد كان المسلمون هناك على درجة عالية من الوعي ، وفي حالة من الصلابة والتمسك بالدين ، وكان هناك العلماء الأجلاء الذين يجمعون حولهم التلاميذ ، ويقومون على نشر التراث الإسلامي ونسخه وتوزيعه بين المسلمين .

٤- لقد جاءت الشيوعية إلى العالم وإلى تلك البلاد كالإعصار العاتي الذي لا يقف أمامه شيء ، وقد اعتمد فلاسفتها ومنظروها على أسس لا تتفق مع طبيعة البشر وفطرة الله التي خلق الناس عليها ، ولعل هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى ، فقد كانت تحمل في طياتها عوامل القضاء عليها ، كان أساس نظريتها من الناحية الفلسفية الإلحاد ، وإنكار وجود الله سبحانه وتعالى ، مما جعل علماء تركستان يقومون بعمل مؤتمرات يدافعون فيها عن تراثهم الديني والثقافي .

٥- الدور الذي قامت به الطرق الصوفية خلال الحقبة السوفيتية بالدعوة إلى الإسلام ، وإقامة المساجد السرية وحلقات قراءة القرآن .

٦- قيام المسلمون في أذربيجان بمقاومة جميع موجات الكفر ومخططاته بعود صلب ، وهمة عالية .

ثانيا التوصيات :

١- العناية بنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، والمستقاة من الكتاب والسنة، ومن سيرة الصحابة (رضوان الله عليهم) ؛ لأن هذه الأمة بأسرها، لا نصيب لها في الحياة بدونها.

٢- الاهتمام بالأسر المسلمة في تكوينها، والمحافظة عليها، كأساس وركيزة للمجتمع الإسلامي المنشود، وذلك عن طريق العناية بالثقافة والتربية الصالحة، والقدوة الحسنة في كل شؤون الحياة، داخل المنزل وخارجه.

٣- تكوين كوادر مسلمة، كفريق عمل من المتخصصين في علوم التربية والتعليم، لإيجاد منهج موحد للتعليم والتثقيف الإسلامي في أذربيجان ، ويتم ذلك بالتعاون مع الجامعات الإسلامية والمؤسسات العلمية الأخرى ذات التجربة والخبرة الطويلة في هذا المجال، وذلك للحفاظ على الْهُوِيَّة الإسلامية، وعصمتها من هجمات التشويه والتشنيع.

٤- التنسيق فيما بين الجمعيات والهيئات الإسلامية (المحلية والدولية) لمواجهة الأخطار المشتركة، وسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الأعداء والحاقدون.

٥- ضرورة تبني الدعاة والمعلمين، وتزويدهم بكافة وسائل النشر والتأليف الممكنة، وتبسيط مفاهيم مؤلفاتهم، وجعلها في كتيبات ونشرات مسلسلة، بعناوين مختصرة.

٦- إيجاد دراسات ميدانية عن الحركات والتيارات المناوئة للإسلام، وتزويد العاملين في الحقل الثقافي والتربوي والدعوي بها ليتمكنوا من صد هجماتها، وإبطال كيدها ومكرها، وإفشال خططها وتدابيرها.

٧- العمل على صلة الشعوب الإسلامية بإخوانهم في بلاد آسيا الوسطى والقوقاز ومساعدتهم والوقوف معهم في مواجهة التحديات ، حيث يعانى مسلمو أذربيجان من وجود فئات كثيرة تعمل على محاربة الإسلام مثل جماعات التنصير التى تسعى لكسب الشباب عن طريق تقديم خدمات كبيرة من أجل تنصيرهم.

٨- يجب تقديم الدعم فى مجال التوعية الإعلامية وإرسال مدرسين ، ودعاة ووعاظ لجذب الشباب وربطهم بالإسلام .

٩- مساعدة المسلمين فى هذه المنطقة على تعليم أبنائهم وربطهم بالثقافة الإسلامية ، وتوفير الكتب والمدرسين لهم ، وإنشاء مدارس إسلامية والعناية باللغة العربية ، والتوسع فى عدد المنح الدراسية ، والتركيز على موضوع التعاون والمساعدات .

١٠- إرسال دعاة يتم انتقاؤهم بصورة طيبة حتى يقفوا ضد الحملات التى تحاول تشويه الإسلام .

١١- التركيز على الأبعاد الاقتصادية وتطوير العلاقات المؤسسية الجماعية وتطوير مشروع عربى مشترك .

١٢- إنشاء لجنة فى نطاق جامعة الدول العربية تقوم بتقييم الواقع القائم لهذه العلاقات، وتحدد العناصرالإيجابية التى يمكن البناء عليها حتى ولو كانت محدودة، وأوجه الضعف وسبل علاجها وصولاً إلى وضع رؤية إستراتيجية عربية شاملة لمستقبل هذه العلاقات .

١٣- إنشاء بنك معلومات اقتصادي يتضمن كافة المعلومات الخاصة بمجالات الاستثمار فى هذه الدول ومجالات التعاون الاقتصادي العربى معها .

١٤- تقديم منح كثيرة للطلاب في جامعات عديدة في البلاد العربية والإسلامية للدراسة في التخصصات الشرعية ، والتاريخية ، والأدبية ، واللغوية ، والعلمية .

١٥- إنشاء فروع الجامعات الإسلامية في تلك البلاد .

١٦- تشجيع علماء المنطقة على الاتصال بنظرائهم من العالم الإسلامي ودعوتهم لكل المناسبات .

١٧- عقد دورات شرعية مكثفة في مناطق تركستان الغربية يراعى فيها الفروق المذهبية .

١٨- منح الطلاب النابغين منح الدراسة في الدول العربية والإسلامية .

الخاتمة

كانت أذربيجان جزءًا من بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) التي لها تاريخ قديم يرجع إلى العصر الحجري القديم منذ ٥٥ ألف عام ، فهي أول بلاد اكتشف فيها زراعة الحبوب ، وتربية الحيوان قبل الميلاد بثمانية آلاف سنة ؛ وقد تميز سكانها الأتراك بقوتهم وصلابتهم وتحملهم الأمور الشاقة وشجاعتهم أمام عدوهم ؛ إلا أنهم كانوا يعيشون في حالة من الجهل والخرافات التي كانوا يعتقدون بها ، والتي كان لها دور في قيام الحروب بينهم ؛ ولما جاء الإسلام إليها قضى على الصراعات والنزعات الطائفية والعرقية المختلفة ، ووحد بينها ، فخرج منها قادة وعلماء أسهموا في رفعة ونصرة الإسلام ، وأصبحوا قادة الأمم .

وقد ظهرت جمهورية أذربيجان كنتيجة لتقسيم الاحتلال الشيوعي لها وللدول الإسلامية المجاورة لها عام ١٩٢٤م ؛ وذلك لاستغلالها سياسيًا ، واقتصاديًا ، وإحكام السيطرة عليها ، وتقسيمها على أساس عرقي وقومي ؛ فكل جمهورية تشغل الأرض التي يتألف معظم سكانها من قومية واحدة ، مما كان له تأثير سلبي على وحدة شعوب المنطقة كلها ، وقطع كل صلة بينهم وبين إخوانهم المسلمين في البلاد الأخرى .

لقد ساءت الأوضاع الاقتصادية ، والسياسية ، والدينية ، والاجتماعية في ظل الحكم القيصري الذي وصف بأنه (سجن للشعوب) حيث التخريب ، والقتل ، والنفي لهذه الشعوب .

ولما جاء الحكم الشيوعي ازدادت الأوضاع سوءًا أكثر مما كانت عليه في الفترة القيصرية ؛ فقد تسبب في أكبر كارثة بيئية وهي(إهدار كثير من الماء، وتحويل الأراضي إلى منطقة تجارب نووية) لا زالت تعاني منها هذه البلاد الإسلامية إلى الآن والتي مات بسببها الكثير من السكان ؛ بالإضافة إلى القتل والنفي العمد للإقلال من عدد المسلمين وإضعافهم ، أما الناحية الدينية فالشيوعية كانت تقوم على الإلحاد ، ومحاربة الأديان(خاصة الإسلام)، وكل من يخالفها .

ولم يقف مسلمو أذربيجان مكتوفي الأيدي إزاء هذه السياسة الاستعمارية حيث كانت توجد مجموعات من الأشخاص يقودها بعض علماء المسلمين ، تقوم بالدعوة إلى الإسلام سرًا وجهرًا ضد السياسة الاستعمارية التي تريد القضاء على الإسلام .

ولقد بذل علماء أذربيجان قصارى جهدهم في نشر كتب العلم الشرعي ، ونسخها وتوزيعها بين المسلمين ، ودراسة الفقه والتفسير ، بل قام علماء تركستان كلها بعمل مؤتمرات يدافعون فيها عن تراثهم الديني والثقافي لحماية عقل المجتمع وثقافته من الأفكار الشيوعية والتنصيرية .

ولما سقط الاتحاد السوفيتي واستقلت أذربيجان عنه ، قامت كل من (الولايات المتحدة وإسرائيل وروسيا وتركيا وإيران) تسعى كل واحدة منها لعمل علاقات اقتصادية وتبادل ثقافي معها لضمان عدم استحواذ أي دولة أخرى بها كليًا .

المصادر والمراجع العلمية

أولا : المراجع العلمية :

١- أحمد رائف : مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر ، ط ١ ، الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٢- رأفت غنيمى الشيخ : آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر ، ط ١ ، جامعة الزقازيق ، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ،

٣- عبد المنعم الحنفي: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية ، طـ ٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٤- عبد العزيز بن عثمان التويجري : العالم الإسلامي والغرب التحديات والمستقبل ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ، الرباط ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

٥- محمود أبو العلا : المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقًا ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٦- محمود شاكر : المسلمون في الإمبراطورية الإسلامية طـ ٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٧- محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان ، طـ ١، جامعة القاهرة ، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٨- محمد بن موسى الشريف: علماء آسيا الوسطى (التركستان) بين الماضي و الحاضر ، د. ت .

٩- محمد ناصر العبودي : بلاد الداغستان ، ط ١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، د.ت .

١٠-محمد سعيد إسماعيل: بلاد الإمام البخاري ماضيها وحاضرها ، جـ ١ ، دار الزيني ، القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥١م .

١١-محمد علي البار : التركستان مساهمات وكفاح ، جدة ، د.ت ، ص ٢٠.

١٢-محمد علي البار : المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ، جـ ١ ، دار الشروق ، القاهرة ، د.ت .

١٣-مصطفى رمضان : المسلمون في آسيا الوسطى وإيران ، جامعة الأزهر ، د . ت .

١٤-ميثم الجنابي : الإسلام السياسي في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض ، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م .

١٥-نهى السدمي : الإسلام السياسي في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، سنة ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م .

١٦- هدى درويش : انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز ، ، ط ١ ،عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٤م .

ثانيا: المراجع الأجنبية :

(1) Cambridge Scholars Publishing : Transformation of the Muslim World in the 21st Century, Edited by Muhammed , Hüseyin Mercan ,Lady Stephenson Library, Newcastle upon Tyne, NE6 2PA, UK , 2016 , p.1.

ثالثا: الرسائل العلمية :

١- رشا محمود السيد عيد الباز : الانعكاسات الإقليمية والدولية للتهديدات الأمنية في منطقة آسيا الوسطى ١٩٩١- ٢٠٠٥م ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، سنة ١٤٣٢هـ /٢٠١٠م .

٢- سعيد أحمد محمد سلطان: التأثير الأيديولوجي للروس على المجتمعات الإسلامية بوسط آسيا(أوزبكستان نموذجا) ، رسالة دكتوراة ، قسم الحضارات ، كلية الدراسات الآسيوية ، جامعة الزقازيق ، د.ت .

٣- الشحات إبراهيم السيد : أذربيجان من الفتح الإسلامي حتى نهاية عهد الساجيين ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب ، المنصورة ، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٤- محمد عطية محمد محمود قنديل : الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى بين الإيجابيات والسلبيات، من الاحتلال الروسي حتى سنة ٢٠١٥م ، رسالة ماجستير ، قسم الأديان ، جامعة الزقازيق ، مصر ، سنة ٢٠١٧م .

رابعا : الدوريات والمجلات :

١- أحمد فؤاد متولي ، هويدا محمد فهمي : الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز الحاضر والمسقبل، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ،مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، د.ت .

٢- زينب الأشوح : الأهمية الاقتصادية للجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى في الاتحاد السوفيتي سابقًا ، مؤتمر المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٧ ، الفترة (١١- ١٣ ربيع الآخر/ ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤١٤هـ /١٩٩٣م .
٣- عبدالله مبشر الطرازى : الجمهوريات الإسلامية في رابطة الدول المستقلة ماضيها وحاضرها ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٨ ، في الفترة (١١- ١٢ربيع الآخر/ ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) جامعة الأزهر، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
٤- عبد الله مبشر الطرازي: من علماء الإسلام فى تركستان سيرة سماحة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني كبير علماء تركستان وجهوده في الدعوة إلى الاتحاد الإسلامي ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٥ ، في الفترة (١١- ١٣ ربيع الآخر / ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م .
٥- فوزي محمد طايل: آثار تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن الأمة الإسلامية ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ، جـ ٨ ، في الفترة(١١- ١٢ربيع الآخر/ ٢٨- ٣٠ سبتمبر) جامعة الأزهر، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
٦- محمد نور الدين عبد المنعم: العلامة الطرازي المجاهد التركستاني ، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، جـ ٥ ، الفترة (١١- ١٣ ربيع الآخر / ٢٨ - ٣٠ سبتمبر) ، جامعة الأزهر ، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٢م .
٧- محمود عيسى : تركستان الشرقية .. وطن إسلامي بين فكي التنين الصيني ، مجلة الأزهر ، السنة ٨٢ ، العدد ١١ ، ذو القعدة ١٤٣٠هـ / نوفمبر ٢٠٠٩م .
٨- يحى اليحي : مشاهدات في بلاد بخارى ، العدد ٥٩ ، مجلة البيان .
١٧- يحيى اليحيى : المسلمون والعالم مشاهدات فى بلاد بخارى ، العدد ٦٠ ، مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص ٦٢ .